الجُزء الأول

الطائفية في الوطن العربي

أسبابها، طبيعتها، مظاهرها

العراق نموذجًا

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

طائفية العولمة والاحتلال

فوضى المفاهيم وانتفاضات النرجسية المريضة

لو وضعنا جانبًا، ولأغراض الدراسة؛ الحديث عن أنهار الدم الجارية في العراق من شبابنا من أبناء الطائفتين الراكضين وراء أوهام وأساطير اندسَّت بفعل عوامل الخوف وفقدان الشعور بالأمن والإحباط، وتفسخ مفاهيم اعتبار أو تقدير الذات، في عقولهم عن الجنة والحوريات وأنهار الخمر، فراحوا في عملية انفصام سيكولوجية ينشغلون عن هموم حياتهم بالعيش في حدود ربع القرن الهجري الأول، أي بهموم من عاشوا من الأجداد قبل حوالي ١٤٠٠، ومن هو الأحق بالحكم؛ آل البيت أو الصحابة، غير ذلك من دوافع عمليات القتل والقتل المضاد، وتخريب وتدمير بنى الدولة، وتبذير الجهود والأموال العامة، لا لتحسين شروط خدمات الصحة، أو التعليم والسكن وغيرها من الأمور الدنيوية السخيفة الزائلة، كما يعتقدون.

إن المتحاربين غير معنيين بمغريات هذه الحياة الفانية، غايتهم القصوى وما يبغونه هو تصميم كل طرف ليثبت للآخرين أنه يحمل التفسير الأفضل للدين، وأنه هو الأقرب لإرادة الله ورضوانه، أما الآخر ليس إلا كافرًا، جاحدًا بما سينعم به الله على المؤمنين من جنات نعيم، حور عين، وولدان مخلدون، وأنهار خمر، يغدو قتله تعجيلاً لإرساله للجحيم هو ما يستحقه من عقاب، ما سيفتح للقاتل بابًا من أبواب الجنة، ومن يمكن أن يكون قد أخطأ في تقديره فذاك اجتهاد يكفي أنه سيؤجر عليه بحسنة واحدة.. لذلك سيغدو القتل هواية المؤمنين المغرمين بجمع آحاد الحسنات، لعل ذلك ما يفسِّر سلوكية أعضاء داعش بقطع الرؤوس وتعليقها افتخارًا على أعمدة سياجات بعض الحدائق، أو

رفعها باليد عاليًا ، افتخارًا وتباهي بكسب الحسنات ، لنضع هموم هؤلاء المؤمنين المتسابقين لكسب رضوان الخالق بالقتل وتدمير وهدم منازل المسلمين جانبًا الآن، هم وجهلهم وما يعيشونه من أساطير وخرافات.

سنجد أن قيادات الطائفيين من الطرفين هم الأكثر انسجامًا عقليًا ونفسيًا مع الأدوار المكلفين بها ، أو التي اختاروها هم كوسائل للعيش برغد ورفاهية وحيازة نِعم الجنة في الدنيا قبل الآخرة، فحورية باليد خير من ألف حورية بالآخرة، وقصور في كل عواصم أوروبا إضافة لقصر في المنطقة الخضراء أو ما حولها خير ألف مرة من قصور معلقة بالسماء، و"موت يا حمار".

إن متابعة علاقات وسيرة الطائفتين، أو قيادات ورموز الطائفتين تعكس حالة انسجام كلي فيما بينهم ، وئام وألفة في ظل نظام العراق الجديد ، كل يعرف دوره تمامًا، يؤديه بأمانة ، يفتعلون الخلافات البينية بين الحين والآخر لتكتمل اللعبة لتظهر بإخراج محكم، إن أهل هوليود هم الأقدر وأكثر خبرة بمثل هذه اللعبات ، يحركونهم كل حسب ما يناط به من مهام في عملية تدمير العراق ، دولة وأرض وشعب، كما سنأتي في مجرى الدراسة في الفصول التالية.

إلا أن هناك ملاحظات أولية، وأسئلة تظل تلح وتطغى على عقل المتابع، لا يحتاج الإنسان لدرجة عالية من الذكاء، أو مستوى مميز من الإدراك ليشخصها ، فهي من الوضوح بحيث تكشف عن نفسها كما هي الشمس في يوم من أيام الصحو الخالية من الغبار أو الغيوم.

إن متابعة مسار وسلوكية رموز الطائفية في العراق؛ تشير إلى أن لا دخل للولاء للمذاهب أو الدين والإسلام بتوجهاتهم، ولا علاقة لما يجري من أحداث ومذابح وصراعات ومهاترات يدفع ثمنها شباب هم بحكم الأحداث ، مستلبة عقولهم، يبحثون عن الخلاص من مشكلاتهم النفسية والاقتصادية والوجودية في متاهات يرسمها لهم من يستغلهم من نخب أو جماعات محكومة بأهدافها الخاصة ، أو بما مكلفة بها من أدوار عليها أدائها مقابل ما يتمتعون به من

امتيازات خاصة ما كانوا يحلمون بها، ولا يمتلكون أصلاً الكفاءة أو الخبرات التي يمكن أن توصلهم لما كسبوا من تجارتهم بالطائفية.

لا يتردد الإنسان بمواجهة ما يراه من سلوكيات المتنافخين بالطائفية من القول: قد لا يكون الأخوين النجيفي، أو صالح المطلق وغيرهم من ممثلي السُنَّة في التركيبة السياسية العراقية الحالية، يعرفون حتى وقت وقوع الاحتلال الأمريكي للعراق ما إذا كانوا هم سنة على مذهب أبو حنيفة النعمان، أو أحمد بن حنبل أو أنس بن مالك أو الشافعي؟! فتلك بالنسبة لهم كانت خرافات مضى عليها الزمن، وقد لا يعرف أحد منهم حتى بعد تموضعه للعب الدور الطائفي المناط به ما الفرق بين اجتهادات أهل الرأي وأهل الحديث، أو على ماذا اختلف الإمام أبو حنيفة النعمان مع أنس بن مالك أو أحمد بن حنبل وغيره من أئمة المذاهب الأخرى.

إنهم بلا مذاهب، بل حتى بدون دين، يتلمس الإنسان سلوكياتهم اليومية في مضيهم في الإعداد والتحريض للفتن والمجازر اليومية، والاعتماد في كسب معيشتهم على التحريض على قتل الآخرين من المسلمين، وموقفهم من أكل أموال السحت، أموال المسلمين من أبناء طوائفهم. فهم يكذبون وينكثون العهود والمواثيق حسب الظرف والمصلحة وما يستلمون من أوامر وتعليمات، الباحث عندهم عن مفاهيم مثل تقوى الله، والعمل على مرضاته، أو الخوف منه، أو أي مؤشر ذا دلالة على أنهم يحسبون للآخرة أي حساب، كمن يبحث عن إبرة في كومة من القش بحجم أرض العراق.

لذلك نجدهم لا يتورعون عن اتهام حتى من ينتمي لمذهبهم بالطائفية أو الخروج على المذهب والدين ما دام يعترض على الاحتلال ويعلن رفضه له، أو يمكن أن يشكل تهديدًا لمواقعهم ومصالحهم، كما حصل للشيخ حارث الضاري، الذي اتهموه بالطائفية العمياء... دعا لنبذه حتى أشد زعماء الطائفة تطرفًا وترويجًا للفرقة، عدنان الدليمي بكل توجهاته الطائفية المريضة التي تتحول من شدتها

إلى حركات ارتعاشية تهز رأسه وبدنه بقوة، إلا أن عدنان الدليمي، وأولاد النجيفي ومن على شاكلته لا يتورعون عن خدمة الاحتلال مقابل بعض الامتيازات التي يقدمها لهم المُحتل، كل ذلك طلبًا لمرضاة الله وتقوى من غضبه.. لم يترددوا في تركيب القصص ودبلجة الاتهامات بالطائفية والإرهاب للشيخ حارث الضاري الذي لم يُخفي رفضه قولاً وعملاً لقبول الاحتلال.

ومن قبله تعرض لنفس الاتهامات الشيخ أحمد الكبيسي لأنه كان يقود التظاهرات الضخمة من جامع أبو حنيفة في الأعظمية خلال الأسابيع الأولى من الاحتلال، رافعة لشعار (وحدة – وحدة وطنية – لا شيعية ولا سنية)، فتلك الوحدة التي يطالب بها تهدد مشروع شارون – ايتان بالفشل، وتحبط الجهود الكبيرة التي قدمتها إدارة اليمين المسيحي في عهد بوش الأب، وبوش الابن لتدمير العراق وتقسيمه.

لا ينطبق القول على الحزب الإسلامي الذي قام أصلاً على أساس وجهة نظر سنية أو إسلامية للحكم، تستند لفقه واجتهادات الإمام أبو حنيفة، بعيدًا عن أي توجهات طائفية تعصبية، حتى إن الحزب كان قد قدم طلب إجازة ترخيصه للعمل العلني عام ١٩٦٠ باسم المرجع الشيعي في حينها محسن الحكيم، لذلك نجده أقل ضجيجًا وصراخاً طائفيًا من الآخرين دون أن يعني هذا غياب التوجهات الطائفية كليًا من مواقف قياداته، لكنها تظل أقل حدة وقوة... كما سيأتي الحديث في حينه حول الحزب[1].

١- إن الكراس المطبوع بشكل ملف الذي نشره أحد كوادر الحزب الإسلامي، باسم إبراهيم الأعظمي تحت عنوان "الحزب الإسلامي، تاريخ عز" ؛ يكشف عن محطات كثيرة من تعاون الحزب ودعمه لنشاطات مشتركة مع مراجع شيعية، كما يكشف عن توجهات إسلامية لا طائفية، تجسدت بالعمل المشترك بين الشيخ محمد الخالصي، والشيخ عبد العزيز الدوري في عهد حكم عبد الكريم قاسم، كواحدة من محطات التقارب الشيعي – السني، عندما يكون الإسلام مهددًا من قبل قوى علمانية أو لا دينية، تحرك الحزب لتنظيم نشاطات مختلفة للضغط على عبد الكريم قاسم لرفع الحجز عليهما.

عند النظر بالاتجاه الآخر المقابل الذي لا يمكن أن تكتمل خطة تدمير العراق وتنفيذ المشروع الصهيوني المعروف بمشروع شارون – ايتان أو ما عُرفَ ب (استراتيجية إسرائيل لثمانينات وتسعينات القرن العشرين)، إلا به.

لا يتورع الإنسان عندها عن القول بإن بعض المعممين في الجانب الشيعي هم أبعد الناس عن التشيع، فقهًا أو تأسيًا بسيرة أئمتهم، وخُلق وقيم الإمام علي الذي يتشدقون ويتظاهرون بأنهم الأكثر تمسكًا بسيرته ومواقفه، وأحقيته بالحكم، إذا كان عمار الحكيم يلعب بمهارة الدور الشعوبي المرسوم له، فذاك يُحسب بحكم الوفاء لآبائه وجده من قبله، فالشعوبية مهنتهم ومصدر كل النعيم الذي يعيشه وعاشه آباؤه من قبله، وعلاقة العائلة بأمريكا تعود لعام ١٩٦١، عندما زار السفير الأمريكي في العراق محسن الحكيم ليشكره على فتواه ضد الشيوعية[١].

يعتقد الدكتور هيثم الناهي أن ارتباط باقر الحكيم بالأمريكان بدأ منذ ذلك الوقت، فلم ينسَ جورج بوش الأب تلك الخدمة التي قدمها محسن الحكيم للأمريكان في نزاعهم على مصالحهم في العراق مع الاتحاد السوفيتي إبان الحرب الباردة، فيصرح علانية بعد العدوان على العراق عام ١٩٩١، في كلمة له في جامعة جورج واشنطن: "عندما أردنا محاربة الشيوعية في الشرق العربي، استنجدنا بأصدقائنا من علماء الشيعة"[٢].

١- سبق أن نشر على الإنترنت مجموعة من المقالات حول انحراف آل الحكيم عن فقه آل البيت، تم نشرها على عشرات المواقع.. موضحًا فيها كيفية استخدامهم للطائفية كتجارة ووسيلة للعيش وكسب الأموال وبقية ملذات الدنيا، لعل أهم تلك المقالات هو المقالة المعنونة "آل الحكيم: شعوبية، وانحطاط أخلاقي وانحراف عن فقه آل البيت"، يمكن الإطلاع عليه على الرابط التالي: http://daroussia.com حول زيارة السفير الأميركي لمحسن الحكيم بعد نشر فتواه ضد الشيوعية، راجع: عادل رؤوف، أنبياء وأصنام، دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ٢٠٠٩، ط٢، ص: ١٥٢.

٢- د.هيثم الناهي، خيانة النص، لندن: الدار الأندلسية، ٢٠٠٢، ص: ٣١٠.

لا أحد مثلاً يمكن أن يقول لنا ولو باسم واحد من عائلة عمار حتى جده الثاني مهدي عطار الأعشاب، والد محسن الطبطبائي الأصفهاني (هكذا كنا نرى لقبه كما يكتب تحت صوره في نهايات الخمسينات وحتى بداية الستينات من القرن الماضي، قبل أن يتحول للحكيم فقط)، اجتهد محسن الطبطبائي الأصفهاني على ما يبدو حسب فقه آل البيت بأن بيع الأعشاب الطبية هي جزء من الحكمة أو الحكامة، فأطلق اللقب على أبيه ونفسه، باستثناء الجد مهدي عطار الأعشاب، لم نسمع يومًا أن أحد من آل الحكيم اشتغل يومًا بمهنة أو حرفة عاملاً، تاجرًا، مقاولاً، مزارعًا، نجارًا مثلاً، حتى يرث عمار كل هذه الأموال التي يبني بها قاعة بكلفة تتجاوز عشرات الملايين، مزخرفة بأزهى ألوان الزخرفة العربية، كمقر يلتقي به مع زواره وتابعيه من شيعة علي بن أبي طالب، ويحدثهم عن زهد الإمام علي وعدله وكيف أنه مات وهو الخليفة لا يملك غير ٧٠٠ درهم كان قد وفرها ليشتري بها خادمًا[١]، يبدو أن غاية عمار من هذا البذخ في قاعاته وقصوره يريد بها تذكير من يأتيه من الزوار المارّين بطريقهم بالكوفة لزيارة بيت الإمام علي، ليتعرفوا بذلك على مظلومية الإمام علي الذي قضى فترة خلافته بذلك البيت البسيط.

إن من المفارقات أو الطرائف والنِكات المثيرة للضحك والأسى، النكتة التي يغيبونها عن العقل الشيعي المستلب ويبعده عن تذكرها، مع أنها ليست بعيدة العهد، ما لم ينتبه له الكثير أن عمار حفيد محسن الحكيم هذا الذي ينصب نفسه أو نصبه راسمي اللعبة الطائفية واحدًا من ممثلي شيعة العراق، كل بضاعته أنه حفيد محسن الحكيم، فهو لم يقدم للعراق أو شيعته يومًا أي خدمة أو حتى بحث أو دراسة في فقه آل البيت، حتى خدمته العسكرية الإلزامية قضاها في الجيش الإيراني باعتباره مواطن إيراني الجنسية والأصل، إن الوقائع تكشف أنه هو وأبوه عزيز كانوا من أوائل من تمردوا على اجتهادات محسن الحكيم الفقهية

١- طه حسين، الفتنة الكبرى: عثمان، القاهرة: دار المعارف، ط١٢، بدون تاريخ، ص: ١٥٤.

الذي كان قد أفتى بتحريم الصلاة في الأراضي التي قدمها الإصلاح الزراعي للفلاحين عام ١٩٥٩، باعتبارها أراضي مغتصبة تبطل أو لا تجوز شرعًا الصلاة فيها... وعزيز ومن بعده ابنه يعيشان منذ بدايات الاحتلال في بيوت وأراضي مغصوبة، أي تبطل الصلاة فيها ولا تقبل وفقًا لاجتهادات وفتاوى الجد محسن الحكيم، ما يعني أن الأب عزيز الحكيم وابنه لا يصليان أصلاً إلا نفاقًا.

سبق أن كتبت عن القضية في موضوعات ما زالت موجودة على الإنترنت في جوجل... أُشيع بعد أن كتبت ذلك بأسابيع قليلة أن عمار أرسل تعويضًا لعائلة طارق عزيز عن دارهم التي اغتصبها، إذا افترضنا أن عائلة طارق عزيز قد تقبلت هذا التعويض مجبرة، لا ينفي هذا صفة الاغتصاب، يبقى السؤال قائمًا بنفس المعنى عن الدور المجاورة الأخرى، وعن شرعية الصلاة في القاعة التي شيدها، حتى إذا افترضنا أنها أراضي حكومية أو مجهولة المالك، أين هي الحكومة الشرعية التي تمتلك الحق الشرعي بمنح عمار هذه الأراضي، إضافة للأملاك الحكومية المهدمة في مركز مدينة النجف، (بناية المحافظة، مديرية المرور الملعب الرياضي) التي اشتراها بسعر ١٠٠٠ دينار للمتر (كان الدولار وقتها يساوي أكثر من ٢٥٠٠ دينار) مع أن المتر حتى في ذلك الوقت لا تقل قيمته عن الألف دولار.

لم ينفرد محسن الحكيم بتحريم الصلاة أو بطلانها في أرض مغتصبة؛ بل يشاركه بذلك كل فقهاء الشيعة الآخرين.. يتفق كل فقهاء الشيعة ببطلان وعدم جواز الصلاة على أرض مغصوبة، أو أرض الغير دون أخذ موافقة أصحاب الأرض، بما فيهم خامئني نفسه ولي أمر أبناء الحكيم ومرجعهم الأول[١]، يذهب السيد محمد باقر الصدر إلى مدى أبعد من ذلك "إذا كان المكان مشتركًا بين

١- السيد علي الحسيني الخامئني، أجوبة الاستفتاءات، بيروت: دار الحق، ١٩٩٥، ص:١١٤.

شخصين، فلا يسوغ لأحدهما أن يتصرف فيه بدون إذن شريكه، ولو صلى وسجد عليه بدون إِذن كانت صلاته باطلة".[1]

ما يعني وبإجماع مجتهدي الشيعة وفقهائهم أن عزيز الحكيم وابنه عمار وكل عائلتهم، لا يؤدون الصلوات الخمسة المفروضة إلا نفاق وتظاهر كاذب أمام الناس، لعنة الله على المنافقين.

لا يختص هذا الحكم بعمار الحكيم وحده، بل ينطبق على كل سكان المنطقة الخضراء... وقبل عام أو أكثر قليلاً رأيت شريط فيديو لخطبة إمام صلاة الجماعة التابع لآل الحكيم، صدر الدين القبانجي يقول فيها إن باقر الحكيم جاءه بالحلم يشتكي له من ضيق قبره ويتوسل بشيعة آل البيت أن النجدة بتوسيع القبر.

ما يتذكره الإنسان أن التفجير الذي تعرض له باقر الحكيم كان من القوة بحيث لم يعثروا على أي أثر لجثته غير إصبع واحد قالوا إنهم وجدوه، بنوا للإصبع قبرًا على مساحة تمتد لآلاف الأمتار، على بعض أرض الملعب الرياضي لمدينة النجف الذي ادعى عمار أنه اشتراه، إضافة للضريح هناك قاعات كبيرة ودور ضيافة، كل تلك البنايات ضاقت بالإصبع فيطلب باقر الحكيم توسيع قبره. لا شك أنها لعبة جديدة للاستيلاء على مباني أو أراضي مجاورة للملعب، بالمناسبة إن الصلاة في القبر والبنايات المحيطة فيه باطلة، فتلك أرض ملك عام اغتصبها عمار من أموال المسلمين بعقود مزورة.

مات الإمام علي وكل تركته كما قال الحسن كانت ٧٠٠ درهم، ويفترض بمن يدعي أنه يمثل فقه علي واجتهاداته، أن يكون عارفًا أن الإمام علي "حدد مبلغًا

١- محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة وفقًا لفتاوى آل البيت، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط ٨، ١٩٨٦.

معيناً هو أربعة آلاف درهم ليكون احتياطاً لدى الفرد يأمن خطر الحاجة، ما عدا ذلك فهو كنز محرم يؤدي إلى البطر والطغيان"[1].

هل يمكن، وإلى أي مدى يمكن أن نصدق أن عمار الحكيم ممثل شيعة علي، هو شيعي فعلاً، يتأسى بأخلاق وفضائل الإمام علي، ويلتزم باجتهاداته وسلوكه؟! من يدرينا كم من يهود إيران ومجوسيها اندسوا علينا تحت غطاء المجيء للدراسة الدينية في النجف، مع أن بلدهم إيران لا تقل أهمية علمية عن النجف، فلماذا هذا الإصرار على المجيء والاستقرار في النجف؟!

الظاهرة السلوكية الغريبة في توجهات واجتهادات عمار الحكيم ممثل الشيعة في العراق، يبدو أنه اجتهد وفقاً لفقه آل البيت في زمن العولمة والاحتلال، أن يكون نصف حضور مؤتمراته، لقاءاته وما شابهها من نشاطات؛ هم من النساء... لا أحد يدري بمن تأسى عمار لسنّ هذه البدعة، إن من تمتنع عن حضور هذه المراسيم العلوية – الحسينية، من المؤكد سيُقطع عنها أو عن ولي أمرها المعونات والمساعدات والحماية التي يقدمها مجلس عمار لهم، وستتهم وولي أمرها بالخروج عن خط آل البيت، ولربما بالردة والكفر.

لنكن واقعيين، وبصراحة كعراقيين نعرف جيدًا أن مثل هذه التجمعات يمكن أن تكون غطاء للمفاسد والهروب من رقابة الأهل عند بعض النساء غير الملتزمات، ومناسبة للقاء مع الحبيب بعد انفضاض اللقاء، لا يُفهم من إصرار عمار على هذه البدعة غير توجهات شعوبية للمساهمة في إفساد المرأة الشيعية من عرب العراق وتخريبها، ودعم تمردها على ولي أمرها، أي تخريب بنية وتماسك العائلة العربية العراقية.

عند متابعة سلوكيات قائد الجناح الآخر في قيادة الطائفة، والأكثر اعتدالاً، جناح الصدر؛ فإن سلوكية قائد التيار الصدري مقتدى، هو الآخر تُظهر بأنه

١- الدكتور علي الوردي، وعاظ السلاطين، لندن: دار كوفان، ١٩٨٣.

أكثر الناس بُعدًا عن سيرة ومواقف أبيه محمد صادق الصدر، نعم هو نفسه مقتدى الصدر قائد التيار الصدري الذي لم يقدم يومًا خدمة مميزة للطائفة، أو يكتب رأيًا ما يميزه عن بقية رجال الدين، كل بضاعته هو كونه ابن محمد صادق الصدر، إن متابعة مسيرة مقتدى مقارنة باجتهادات أبيه وسلوكياته تظهر أن أكثر الناس انحرافًا عن اجتهادات صادق الصدر هو ابنه مقتدى الصدر.

كان مقتدى قد بلغ سن الخامسة والعشرين عند مقتل أبيه، في عز سن الرشد، ما يفترض أنه يتذكر جيدًا أن الصراعات العلنية المريرة بين أبيه وعائلتي الحكيم والخوئي كانت بسبب رفض السيد محمد صادق الصدر لفكرة أن يرث أبناء المراجع أموال المرجعية وممتلكاتها ونفوذها[1]، والسؤال لمقتدى: بأي حق له وفقًا لاجتهادات أبيه أن يدعي لنفسه ما كان يرفضه أبوه ويستنكره من أبناء غيره من المجتهدين، فبأي حق يموضع مقتدى نفسه بمكان أبيه وهو يجحد بالوقت نفسه اجتهاداته.

في عرض على اليوتيوب لموكب مقتدى الصدر حاولت أن أحسب عدد السيارات المرافقة لموكبه؛ وصل العدد لعشرين سيارة مصفحة، رباعية الدفع لا تقل كلفة إحداها عن ٢٠٠ ألف دولار، يتبعها أجور ورواتب الحراسات، وكل سيارة تنقل أربعة أشخاص، إضافة إلى كلفة الصيانة والوقود، ما يعني أن الموكب الواحد يكلف مئات الآلاف من الدولارات.

إلى حد ٣ أو ٤ سنوات خلت استلمت صورًا لمدارس في قرى العمارة (وهي قرى شيعية) مبنية من الطين والبردي، لا تتوفر فيها أماكن للحمامات، أو أي من وسائل التدفئة أو التبريد، في بعضها لا يتوفر العدد الكافي من الكراسي ما

١- حول صراعات السيد محمد صادق الصدر مع أولاد المراجع السابقين لاحظ: عباس الزيدي المياحي، السفير الخامس، بيروت: ممثلية المرجع الشهيد السيد محمد الصدر، ٢٠٠١، خاصة ص:٧٧-١١٠.

يضطر غالبية الطلاب للجلوس على الأرض، في حين أن بناء مدرسة عصرية قد لا يكلف أكثر من نصف ثمن أو الكلفة الشهرية لإدامة سيارة واحدة من السيارات المرافقة لموكب مقتدى ونفقات ركابها من المرافقين والسائقين ، مقتدى أحد زعماء الطائفة الشيعية الذي جاء ليرفع عن الشيعة مظلوميتهم، كم مدرسة أو مستشفى أو بيت لواحد من فقراء الشيعة، أسس أو شيد بما عنده من أموال المرجعية؟.

لم تتوقف أو تنقطع أخبار القصور التي يشيدها أتباعه ممن نعرفهم ويعرفهم الناس أنهم كانوا بالكاد يتدبرون معيشتهم ، ومن كان منهم يعيش في بلدان اللجوء كان يعتمد في عيشه على المساعدات الاجتماعية التي تقدمها البلديات للفقراء والعاطلين عن العمل ، وتلك المساعدات الأخرى التي تُقدم للمختلين عقليًا ، فأغلبهم كان يدعي أنه مصاب بكآبة حادة تعيقه عن التعايش مع الواقع والمجتمع، باسم محمد صادق الصدر ومقتدى الصدر تحولوا في ليلة وضحاها إلى أثرياء من أصحاب المليارات.

مرة في شهر كانون الثاني أو شباط ٢٠١١ ، كنت أُعاني من أنفلونزا وحمى مرتفعة شديدة (للأسف) ومع ذلك كنت مضطرًا لمراجعة فرع بنك باركليز في منطقة ايلنك برود وي في لندن ، وقفت أنتظر بالدور مشغولاً بالسيلانات التي تنزل من أنفي ، كان أمامي شخص بحقيبة كبيرة ، فهمت أن فيها ٦٥٠ ألف باون ، يريد صاحبها أن يودعها بحسابه، وتجادل مع الموظفة التي امتنعت عن قبولها لأنه لا يمتلك شهادة تثبت مصدرها... عندما همَّ بالانصراف تعرفت عليه ، وأعرف جيدًا أنه ممن كان يعيش على صدقات البلدية ، وهو أيضًا يعرفني ، حاول الهروب بعد أن انتبه لوجودي ، إلا أني تعمدت التنازل عن دوري لمن هو بعدي، وقلت له أريد أن أراه وأني فقدت رقمه موبايله الخاص، فكتبه لي ، لأكتشف فيما بعد أنه رقم وهمي... إنه واحد من قيادات التيار

الصدري الذي انتقل بقدرة قادر من عاجز غير مؤهل للعمل في بريطانيا إلى وزير.

إن مبلغ ٦٥٠ ألف باون، حتى بحسابات مستويات المعيشة في بريطانيا مبلغ كبير، يمكن أن يحصل به الإنسان على بيتين بثلاث غرف في المناطق الشعبية في لندن، صاحبها كان أحد رموز التيار الصدري وقياداته الأكثر تشددًا وتباهيًا بالطائفية، وتظاهرًا بالحرص على حقوق الطائفة.. الحديث طويل عن هذين التيارين الرئيسين في تجمعات الطرف الشيعي.

إذا كان حزب الدعوة يتصرف متأثرًا بردات الفعل تجاه ما تعرض له من قمع خلال عهد البعث، تحكمه شروط المنافسة مع تياري الحكيم والصدر على قيادة الطائفة بعد الاحتلال، فإنه لو كان قد تخلص من ردات الفعل وشروط المنافسة هذه، يمكن أن يكون أبعد الأطراف عن اللعبة الطائفية، كان هذا الاتجاه واضحًا في مسيرة الحزب من خلال ما كان يروج له من وجود واحد أو أكثر من الشخصيات السُنّية في قيادته، سواء كانت هذه الرواية التي يشيعها الحزب تمثل واقع الحال فعلاً، أو هي مجرد محاولة ليثبت بها ابتعاده عن لعبة الطائفية.

لعل "بيان التفاهم" الذي أصدره الحزب في بداية ثمانينات القرن الماضي يعكس استعداده للتعايش في دولة ديمقراطية حقيقة مع الآخرين متدينين أو علمانيين[١]، كما أن حضوره للقاءات الإسلاميين والقوميين في سوريا كان مؤشرًا آخر على استعداده لتهدئة اللعبة الطائفية، إلا أن بعض قياداته أدركت على ما يبدو ضرورة المساهمة باللعبة لتحصل على قطعة من الكعكة العراقية، فراحت

١- وزع حزب الدعوة عام ١٩٨٢ أو١٩٨٣، كراس ب٥٨ صفحة من الحجم الصغير بعنوان: بيان التفاهم الصادر من حزب الدعوة الإسلامية إلى الأمة في العراق، منشورات حزب الدعوة الإسلامية – الإعلام المركزي، بلا تاريخ. توجه البيان بالنداء لكافة القوى الشيوعية والقومية والليبرالية، ومختلف الأديان والطوائف للتعاون في عمل جبهوي لإسقاط نظام البعث، تلك كانت المبادرة الأولى للحزب لينفتح على غيره من القوى الأخرى.

تندفع باللعبة وتتسابق مع الآخرين في تمريرها على أبناء الطائفة المستلبة عقولهم وإراداتهم.

ليس تبرئة للمالكي، يكفيه إدانة أنه شارك بقوة في العملية السياسية التي فرضها الاحتلال على العراق ، الموقف المرفوض أخلاقيًا ودينيًا ووطنيًا.. لكن ما سنذكر هو في مجرى متابعة اللعبة الطائفية، وتوجهاتها.. لم تثر تلك الضجة أو الحملة عليه في السنة الأخيرة من حكمه لأنه فعلاً كان طائفيًا، فتلك تهمة لا ينفيها هو ، ولا الأمر الواقع الذي أوصله لسدة رئاسة الوزارة ، هو لم يأتِ كممثل لتيار قومي ، أو يساري ، أو ليبرالي ، هو وصل إلى منصب رئيس الوزراء ممثلاً لشيعة العراق، أين التهمة، أين التهمة إذاً؟!، وأغلب من اتهموه أو غمزوا لاتهامه بالطائفية هما جماعة عمار وجماعة مقتدى! هما لا يمثلان حزبًا أو توجهًا قوميًا أو يساريًا أو ليبراليًا؛ بل هما يحتلان مراكزهما كممثلين للطائفة الشيعية، فهل هما بريئان من الطائفية التي عابوها على المالكي؟!.

يُفهم من مراقبة سلوك المالكي ، أنه أراد أن يلعب لعبة الرجل القوي ، يحرر قراره من ضغوطات مراكز القوى الشيعية في الداخل ، ويتمرد على النفوذ الإيراني ، والهيمنة الأمريكية، يبدو أنه قصر في العطاءات لمراكز القوى هذه، فأشاعوا عنه الاتهامات بالطائفية والفساد ، وكأن الآخرين كانوا حمامات سلام بريئة من أكل أموال السحت وسرقة الأموال العامة.

إن الحديث لا يكتمل عن فوضى المفاهيم الطائفية التي غابت أو تغيبت بضباب الصراعات والتنافس على مفاتن الدنيا بين تجار الفتنة الطائفية، دون التطرق أو التذكير بدور السستاني ، ومرجعيته المصنعة في دوائر المخابرات الغربية ، لا أريد أن أكرر هنا ما كنت قد كتبته في حزيران ٢٠٠٦ ونُشر بحلقات في جريدة القدس من كتاب امتنعت بعض دور النشر عن طبعه، كان الجزء الأول منه بعنوان "المرجعية الشيعية والسياسة في العراق" ، والجزء الثاني بعنوان "مرجعية السستاني والاحتلال: قراءة وطنية في مذكرات بريمر".

لكن ما نريد التذكير به هنا أن السستاني زعيم الطائفة الشيعية، كان وما يزال أبعد الناس عن التعصب لمذهب آل البيت، بل هو نموذج للانحراف عنه، هو أولاً لم يصل لمرتبة المجتهد بعلمه أو فقهه، وما يشترطه فقهاء الشيعة من إلزامية أن يقدم المجتهد أو يكتب رسالة يسمونها "الرسالة العلمية" وأن يقر بعلميتها اثنان من المجتهدين السابقين،[1] ليكون مجتهدًا، أما المرجعية فتعني أن يكون المرجع هو أعلم المجتهدين الموجودين في الساحة، المعروف أن السستاني أخذ رسالة أبو القاسم الخوئي وقال إنه يؤيد كل ما جاء فيها بعد أن أجرى عليها تعديل واحد مهم؛ وهو إسقاط فريضة الجهاد من بين الفرائض التي يقول بها كل من سبقه من مجتهدي ومراجع الشيعة، الذين يقسمون الاجتهاد إلى نوعين:

الأول: جهاد بدائي: أي أن يقوم المسلمين بغزو أراضي أو بلدان غير المسلمين بهدف نشر الإسلام هناك، وعندهم أنه لا يجوز إلا تحت راية إمام معصوم، أي أنه غير جائز بغيبة الإمام الثاني عشر أو المهدي المنتظر.

الثاني: جهاد دفاعي: أي مقاومة أي غزو أجنبي لقوات غير المسلمين لبلاد أو أراضي إسلامية، على هذا الأساس نظم علماء الشيعة ومجتهديهم ما عرف بحركة الجهاد أو المجاهدين للدفاع عن الدولة العثمانية التي كانت تضطهد الشيعة عند وصول القوات البريطانية للبصرة إبان الحرب العالمية الأولى، وعلى نفس المبدأ أفتوا بوجوب التطوع للذهاب إلى ليبيا لمقاومة الاحتلال الإيطالي لها في أيلول ١٩١١.[2] نفس المبدأ أو القاعدة الفقهية تنطبق على الاحتلال الأمريكي للعراق؛ كونه يلزم كل مسلم ومسلمة بالجهاد الدفاعي، إلا أن السستاني تصرَّف تصرُّف الأخرس، الأطرش، الذي لا يفقه شيئًا، بل راح

١- حول شروط الاجتهاد والرسالة العلمية للمجتهد عند الشيعة، راجع: محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣، ص: ٨٧-٩٩.

٢- الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣، لندن: دار كوفان، ١٩٩٢، ص:١٨٨.

يدعم الاحتلال، ويفتي بما يقوله بريمر. عندما اشتكى بريمر من الفدائيين أو المتطوعين أو الإرهابيين الذين يأتون من البلدان العربية المجاورة، وخصص سوريا من بينها؛ أفتى السستاني باليوم التالي بضرورة الحرص على حماية الحدود من المخربين الذين يأتون من البلدان المجاورة، وعندما كان العراقيون يشتكون من انقطاع الكهرباء؛ أفتى السستاني موصيًا بضرورة الاعتدال باستخدام الكهرباء غير الموجودة أصلاً.

عندما طرحت موضوع الانتخابات وثار الجدل حول توقيتها، طالب السستاني كوفي عنان والأمم المتحدة (وليس الإمام المهدي الذي يُشيع أتباع السستاني أنه كان يجتمع به دوريًا) بضرورة إعطاء الرأي والإشراف على الانتخابات وتحديد ميعادها، وكما ذكرت في أعلاه كنت قد كتبت بالتفصيل في حينها عن الخدمات الجليلة التي قدمها السستاني للاحتلال، باسم الولاء لآل البيت، يبدو أن جلالة هذه الخدمات تشابه تلك الخدمات الجليلة التي قدمتها السعودية للعراق ما ألزم عزة الدوري أن يشكرها عليها في أول خطاب له بعد ظهوره من غيبته الصغرى طيلة فترة التواجد الفعلي المكثف للقوات الأمريكية في العراق، وحتى إعلان انسحابها منه.

أولئك هم رموز وقادة الطائفية في العراق اليوم، لا هَمَّ لهم ولا علاقة باختلاف الخلفاء الراشدين حول الأحقية بالخلافة، كما لا علاقة لهم بفقه أبو حنيفة أو الإمام الصادق، هم طائفيون متشددون بحماس لمصالحهم الشخصية، تحكمهم النرجسية المريضة بأنا مضخمة، التي لن تتحقق نزعاتها المريضة على ما يبدو إلا بأن يُقتل عرب العراق وتدمر بلادهم، فهم شعوبيون لا دين لهم ولا مذهب، يفتقدون لأي حس وطني أو عاطفة أخلاقية أو إنسانية، حتى حيال الطوائف التي يدعون أنهم يتنافسون ويتصارعون على سرقة الأموال العامة دفاعًا عنها، شعوبية سُنّة وشيعة لا همَّ لهم ولا دين ولا طائفة إلا أن يُقتل العرب.

- خلاصة القول:

يعيش العراق أزمة حقيقية، ويعاني من مشكلات عدة اقتصادية، سياسية، وحتى تربوية أخلاقية، ونحن نعيش في معمعة أحاديث وشعارات أكل الدهر عليها وشرب، يحاصرنا بها الطائفيين، هذا يقول قال علي، وقال المهدي، قال أبي، وذاك لا يتوقف عن أن يردد: قال أبو هريرة، وكان عمر، لكن لا أبو هريرة ولا أباه قدم لنا حلاً لأزمة الكهرباء والماء التي يعاني منه العراقي منذ أكثر من ١٤ عام.

حالة غياب حقيقية لأي برامج سياسية، اقتصادية أو أي تصور لأي حلول أو برامج عقلانية يمكن أن تحقق للإنسان العراقي مستوى مقبول من العيش الآمن ، ويوفر له حاجاته الأساسية بدون هرولة وركض يومي بحثًا عن متطلبات العيش اليومية الأساسية، علينا أن ندفع ثمن صراعات أو عداوات آل الحكيم مع آل الصدر، وعراك ممثلي الشيعة مع ممثلي السُنَّة على مقاعد البرلمان، وتسابقهم على نهب ثروات البلد وخيراته لينعموا بها هم وأولادهم بقصور، ومعامل وشركات في أوروبا أو تركيا والإمارات المتحدة، وعلى المواطن أن ينتظر سعادة ولذات الدنيا الآخرة من حور عين، قيل إنها سبعين، وكل واحدة عندها من الوصيفات سبعين، ونومة الليلة الواحدة مع كل واحدة، تعادل سبعين سنة من تقديرات زمن الدنيا الفانية.

يفتعلون المشكلات ، أو هم يصارعون بعضهم على الحصص المنهوبة من أموال الدولة، ويتهم بعضهم بعض بأنه السبب في ما هو حاصل من أزمات، فلو أقر هذا بحق آل البيت بالحكم، أو لو رضي الآخر بقبول الصحابة بالحكم، وسمع أقوال أبو هريرة، لما حصل الذي حصل.

لا يحتاج هذا المواطن المُستلبة إنسانيته غير العودة للقرآن ليجد كل الحلول لمعاناته، فهو كتاب الله الحاوي على كل شيء، وكل ما يصلح لكل العصور، لكن مشكلة المواطن المسكين أنه ابتعد عن الشريعة وظل يركض وراء ملذات

الدنيا الزائلة، رغيف خبز، وطبقة بيض، وكيس بطاطا، والله لا يغير ما بقوم ما لم يغيروا ما بأنفسهم، وإلا فسيسلط عليهم من لا يرحم من شرهم.

يسأل المواطن المسكين:

- من هم هؤلاء الأشرار؟!

الجواب المفحم جاهز عند نخب النهب والسلب والسرقة، سيرد:

- إنه الآخر! اذبحه حتى تنعم برضى الله في الدنيا والآخرة!

obeikan.com